د.محمد قروش

أستاذ محاضر كلية الحقوق و العلوم السياسية

جامعة ابى بكر بلقايد تلمسان.

مقياس البعد الإستراتيجي في السياسة الخارجية (ماستر1 دراسات إستراتيجية و أمنية)

بسم الله الرحمان الرحيم

في إطار الإستجابة لطلب الوزارة في توفير الدروس عبر المنصة الخاصة بالدروس على موقع جامعة أبى بكر بلقايد تلمسان و حرصا منا على إستمرارية التكوين للطالب في ظل هذه الظروف الإستثنائية و بعد أن قدمنا ملخص مع تتمة للمحاضرات التي ألقيت على الطلبة في مقياس البعد الإستراتيجي للسياسة الخارجية ،فإننا الآن نقدم لهم باقى المحاضرات .

الدرس الأول:

حول مقياس البعد الإستراتيجي في السياسة الخارجية :

إن هذا المقياس يختلف عن مقاييس أخري تتاشبه معه ، و بالتالى يختلف عن مقياس تحليل السياسة الخارجية ، و المقاييس التي تتكلم عن السياسة الخارجية عموما ، و هذا الأخير هو مقياس مادته المعرفية تجمع بين الجانب النظري و التطبيقي معا. و بالتالى فإنه عبارة بعد إستراتيجي تشير إلى قضايا ذات عمق و ثبات و كذا أهمية في السياسة الخارجية ، كما تشير أيضا إلى محددات و عوامل تساهم في تمايز السياسات الخارجية للدول بإعتبار أن الملاحظ للسياسة الخارجية لا يجد عناءا في ملاحظة أن هذه الأخير ة ليس علي صعيد واحد فهي تختلف من وحدة سياسية إلى أخري ، و طبعا هدف هذا المقياس هو البحث و الكشف عن هذه العوامل و المحددات التي تجعل من السياسات الخارجية للدول تتمايز من حيث الأهداف و الآداء و من حيث المحددات التي تجعل بعضا منها تركز على الدفاع و أخري علي الهجوم ، سياسة خارجية عقلانية و أخري غير عقلانية سياسة خارجية تركز على القوة و منهج القوة الصلبة و اخري تعاونية تركز علي القوة الناعمة و مداخل التعاونية ....

كما يهدف هذا المقياس عن الكشف عن سبب إختلاف السياسة الخارجية للدول و الوحدات السياسية الأخرى من فترة زمنية إلى أخري في الدولة الواحدة نفسها ، أيضا هناك من تعتمد الأسلوب العلمي في التفضيل بين البدائل في السياسة الخارجية و أخري لا تعتمد على المنهج العلمي ، كما تشكل العقائد و التصورات و الأيديولوجية محددات على أساسها تتشكل السياسة الخارجية و تتحدد و هناك امثلة كثيرة سنتناول بعضها.

ويهتم هذا المقياس أيضا بالنظريات و الإقترابات التي من شأنها فهم هذا الموضوع مثل نظرية العلاقات الدولية ، و مداخل لفهم و تفسير السياسات الخارجية للدول مثل نماذج صنع القرار الخارجي وغيرها ...لكن هاته الأخيرة غير كافية لفهم العديد من المواضيع في السياسة الخارجية علي غرار توجهات الدول و عقائدها على المستوي الخارجي مثلا المنهج السلمي للصعود الصيني أو منهج القوة للولايات المتحدة الأمريكية أو توظيف الدين في السياسة الخارجية الإيرانية و الهندية .....إلخ و بتالي لا يكفي ذلك بل نحتاج إلى إقترابات أخري مثل إقتراب الثقافة الإستراتيجة الذي هو موضح في المحاضرات التي وضعت في المنصة و إطلع عليها الطلبة.

في هذا المقياس أشرنا أيضا إلى الإستراتيجية و تعريفاتها وكيف أنها اليوم أصبحت اشمل لتصبح تتقابل تقريبا مع السياسة و هنا اشرنا إلى تطور الإستراتيجة و الدراسات الإستراتيجية .و سنوضح ذلك كما يلي :

عندما نتكلم عن الإستراتيجية في هذا المقياس فنحن نشير إلى الإستراتيجية بمفهوم الموسع حيث أنها أصبحت رديفة لكلمة سياسة ، علما أننا تكلمنا في المحاضرة بالتفصيل عن هذا الموضوع ، حيث لم تعد الإستراتيجية مربوطة بالمعركة و المؤسسة العسكرية بل توسعت لتشمل مجالات أخري غير الحرب و المعركة و لم تعد الدراسات الإستراتيجية فن التعامل مع الوحدات السياسية أثناء الحرب فقط بل أصبحت فن التعامل مع الوحدات السياسية أثناء السلم كما الحرب و هذا بسبب العديد من المستجدات التي طرأت على العلاقات الدولية ووسعت من هذا المفهوم و الحقل المعرفي و التي سنتناولها أيضا في هذا التحليل.

وعليه فإن المفهوم العسكري للإستراتيجية و ربطها بالمؤسسة العسكرية و فن الحرب فقط كانت النظرة السائدة قبل الحرب الباردة و تعتبر الحرب الباردة التاريخ العملي لبداية توسع مفهوم الإستراتيجية و موضوعها و لقد تكلم "ليدل هارت "و باري بوزان" عن موضوع توسع االإستراتيجية و مجالتها. على أن المستجدات التي طرأت على العلاقات الدولية و التي أدت إلى توسيع مجال و موضوع الاستراتيجية لتمس كل نواحي الحياة في الجانب السياسي ،الاقتصادي ،الاجتماعي .....إلخ، و تتمثل هذه المستجدات في ظهور ما يعرف باسلحة الدمار الشامل من سلاح نووي و أسلحة كمياوية و بيولوجية و غيرها من الأاسلحة الفتاكة التي أدت على ضرورة النظر في موضوع الإستراتيجة ، بالإظافة إلى التغير و التحول في طبيعة النظام الدولي و الفواعل مشكلة له، ناهيك عن أن العالم أصبح قرية صغيرة نتيجة الإتصالات و سرعة تدفق المعلومات و البشر بين الوحدات السياسية المشكلة للنظام الدولي .

إن موضوع الاتصال و تدفق المعلومات بين الدول و سرعة انتقالها ووسائل التواصل الإجتماعي و غيرها جعلت من العالم منكشف علي بعضه البعض الأمر الذي أظهر حجم الدمار الهائل الذي تسببت فيه اللاعقلانية و التي تسببت فيه أيضا التوظيف السلبي للإستراتيجية وربطها بالحرب و المعركة فقط.

لقد إرتبطت الإستراتيجية كعلم و عمل بالجانب الأسود للبشرية حيث إرتبطت بالحروب فحسب هذا ما دفع الباحثين في هذا الحقل إلى محاولة عقلنة الإستراتيجية من خلال الاهتمام بالعمل الدبلوماسي و قنوات العمل الدبلوماسي و تفعيله و التركيز على التعاون الدولي ، فظهرت بالمقابل إتفاقيات الحد من التسلح و السلاح النووي على سبيل المثال لا الحصر.

كما أنه لم يعد بالإمكان الفصل بين ما هو سياسي و عسكري أو دبلوماسي و عسكري فالعسكري و هو في قلب المعرة قد يلجأ إلى التفاوض و العكس ، الدبلوماسي في أي لحظة يمكن أن يدخل في حرب . (بالإمكان الرجوع إلى المتغيرين الذين تكلم عنهم "باري بوزان "بشأن موضوع و مجال الإستراتيجية و المتعلقة بطبيعة النظام الدولي و التكنلوجيا المتوفرة لديه).

و عليه فإن الإستراتيجية أصبحت تعرف على انها فن التعامل مع الوحدات السياسية أثناء السلم كما الحرب ، و بالتالي فإننا هنا في هذا المقياس نبحث عن كل ما يؤثر فية توجهات صانع القرار علي المستوي الخارجي سواءا كان يدفع إلى التعاون أو الصراع .

لقد تحولت الدراسات الإستراتيجية إلى دراسات تهتم بالأمن في العلاقات الدولية أي إلى دراسات أمنية أو ما يعرف بالأمننة ، و هذا الموضوع نفسه عرف تطور و توسوع في مفهوم الأامن من أمن الدولة و الحدود ووصولا إلى الأمن الإنساني هذا الأخير الذي اصبح يشمل كل نواحي الحياة المرتبطة بأمن الأنسان بكل أبعاده السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية .....و غيرها و هذا بدوره دليل علي توسع موضوع الاستراتيجية.

محاضرات في مقياس : البعد الإستراتيجي للسياسة الخارجية. /2

تم التطرق في المحاضرة إلى:

1- مقدمة حول المقياس و لماذا تسميته بالبعد الإستراتيجي للسياسة الخارجية و ما هو الغرض منه.

2- مدخل مفاهيمي يتعلق بالقصد من البعد الإستراتيجي وكذا السياسة الخارجية وفي هذا الصدد تم التطرق إلى:

***مفهوم الإستراتيجية و السياسة الخارجية .**

***القصد من البعد الإستراتيجي للسياسة الخارجية و التفرقة بينه و بين مقياس تحليل االسياسة الخارجية .**

***العلاقة بين المفاهيم السابقة و الفروقات المنهجية بينهم.**

3- تم التطرق أيضا إلى السؤال الجوهري الآتى و الذي يعبر عن الهدف من المقياس و المتمثل فيك

لماذا تتمايز السياسات الخارجية للدول أو الوحدات السياسة ؟ أي لماذا تختلف السياسات الخارجية من حيث المحددات و الأهداف ؟ و لماذا نجد سياسة خارجية هجومية و اخري دفاعية / سياسة خارجية تعاونية و اخري صراعية / إحداها تركز على القوة الصلبة و الأخرى على القوة الناعمة ؟

و أيضا على ماذا يركز صناع القرار في تفضيلا السياسة الخارجية ....؟

طبعا قد اجبنا عن كل هذه التساؤلات على النحو الآتى:

1- لفهم السلوكيات الخارجية للدول ووحدات السياسة ذات الطابع اللا عقلاني في السياسة الخارجية لا تكفي نظرية العلاقات الدولية فلا بد من الإستعانة بإقترابات أخري التي بإمكانها فهم و تفسير السلوكيات المتمايزة للدول و التي في بعض الأحيان تكون غير عقلانية (ذكرنا في المحاضرة العديد من الأمثلة) و بتالي نستعين بما يسمي بإقتراب الثقافة الإستراتيجية و حتى نفهم سلوكيات العديد من الدول مثل الصين و إيران روسيا.....

و عليه تم تناول ما هي مكونات الثقافة الإستراتيجية و كيف تساهم في توجيه السلوك الخارجي للدول من خلال تقديم امثلة و حاولنا التفرقة بينها و بين النسق العقدي و الأيديولوجي لصانع القرار .

2-العوامل و المحددات الدافعة إلى توجه صانع القرار في السياسة الخارجية إما إلى السلم أو الصراع و المرتبطة بما يسمي بالإدراك و تصورات صانع القرار حسب ما يلي :

*إدراك صانع القرار لمحتوي البيئة الداخلية أي عوامل قوته على المستوي الداخلي . تم التفصيل فيهم خلال المحاضرة

*إدراك صانع القرار لمحتوي البيئة الخارجية .

* إدراكه للدور و المكانة .

*طبيعة الوحدة القرارية و العملية الإتصالية.

و هذه العناصر تم التفصيل فيها من خلال أمثة مع الطلبة اثناء المحاضرة.

ثم إنتقلنا إلى نماذج تطبيقية مثل:

-السياسة الخارجية الإيرانية و تم التفصيل فيها اثناء المحاضرة

-السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية و تم التفصيل فيها

-السياسة الخارجية للهند و تم التفصيل فيها

و عليه أوافيكم هنا بما تبقي من محاضرات للاسابيع المتبقية :

و نتناول أثر الثقافة الإستراتيجية في توجيه السلوك الخارجي للدول و تكملة لما أشرنا إليه في الحصص السابقة حاليا:

و قبل ذلك نشير على كل من نظرية الدور و كذا الثقافة الإستراتيجية لتأكيد المعلومات التي تحصل عليها الطالب:

1. نظرية الدور:

يعتبر مفهوم الدور في السياسة الخارجية ذو دلالة إجتماعية و سيكولوجية بالأساس، فهو مدلول ينصرف إلى تصور صانع القرار، أي هو يهتم بالفرد ، و بالتالي فينظر غليه في إطار دور الدولة بإعتبارها وحدة سياسية في مقابل مجموع وحدات سياسية أخري في غطار السلوكية الدولية .و كل دور له صلة بأدوار أخري و أوضاع أخري . و بتالي فإن لكل وحدة سياسية في النظام الدولي تصور للدور معين. إنطلاقا من عقائد صانع القرار و تصوراته و غنطلاقا أيضا من الثقافة الإستراتيجية السائدة في المجتمع .

فكل وحدة سياسية تحدد لنفسها دور معين قد يكون دور إقليمي أو دولي و بحسب إمكانيات الوحدة السياسية و بحسب أيضا حسن أو سوء تقدير لقوتها و مكانتها الفعلية تحدد طبيعة سلوكياتها الخارجية إما هجومية نزاعية أو دفاعية تعاونية . لكل وحدة ساسية في النظام دولي دور معين يصبح هو مميزلها و لسيقا بها مثل بطاقة التعريف،و إذا ما تكلمنا عن الدور القومي للدولة ضمن إطار النظام الدولي فإنه يعني إدراك صانع القرار لمكانة و دور دولهم و بالتالي مخرجات هذا النظام يفترض أنها تكون بحسب إمكانياته لا أن تكون فوق إمكانياته مما ينتج سلوكيات إظطرابية في العلاقات الدولية.

2. إقتراب الثقافة الإستراتيجية:

تقوم هاته النظرية من إفتراض أن السياسات الخارجية ليست متماثلة كما تدعي الواقعية ، بل هناك صفات فردية و تاريخية و مجتمعية تعتبر الأساس في تكوين السياسة الخارجية و تصور الدور من قبل صانع القرار وهذا التصور ليس بالظرورة عقلاني ، و هو يصلح لتفسير العديد من السلوكيات الدولية في إطار النظام الدولي و التي لا يمكن تفسيرها بالنظريات الكلاسيكية مثل الواقعية و نظرية النظم التي تفترض الربح و الخسارة .

إن إقتراب الثقافة الإستراتيجية ينبع من إفتراض أن لكل فاعل في العلاقات الدولية منظار معين قد يكون ثابت أو شبه ثابت ، يقوم علي اساسه بإختيار بديل بين البدائل المتاحة و تقديم سياسات مقبولة و ملائمة ، تتماشي مع العقيدة و الفكر الإستراتيجي للدولة و المجتمع ، و هي آداة لمساعدة صناع القرار و تأتي في صورة لا إرادية و موجودة من حيث لا يدري صانع القرار. فهي تتدخل في عملية توجيه سلوك الوحدة السياسية و بقوة في النظام الدولي . وهي أيضا معيار للتقييم من قبل صانع القرار لسياسته الخارجية و هي تأتي في صورة ذاكرة شعبية و تتكون من تفاعل العديد من العوامل التي تشكل رؤية خاصة للظواهر في العلاقات الدولية.

يساعد هذا الإقتراب في فهم السلوك الصيني في دول المغرب العربي ، خاصة السلوكيات غير عقلانية و التي لا تمشي بمنطق الربح و الخسارة .

*بعض الأمثلة التطبيقية تظهر أثر العقائد و التصورات و كذا الثقافة الإستراتيجية و الأيديولوجية في السياسات الخارجية للدول :

1- السياسة الخارجية الإيرانية:

نشير هنا إلى فترة حكم كل من محمد رضا بهلوي و كذا بية الله الخميني.

لقد اثر كل من الدين و القومية الفارسية في السياسة الخارجية الإيرانية حسب فترات تاريخية محتلفة ،بحيث نلاحظ في فترة حكم محمد رضا بهلوي منذ سنة 1941 تركيز محمد رضا بهلوي على إستخدام الإرث الفارسي في عملية تحقيق الإجماع الوطني ، حيث لم يتوانا عن إستخدام الرموز الفارسية التي تعود للإبراطورية الفارسية ،و كان في كل مناسبة يشير إلى إرتباطه بالملكيات الفارسية القديمة حتى أن لقب الشاه مستمد منها ، هذا الأخير الذي كان مولعا بمؤسس الإمبرطورية الفارسية "سايرسوس الثاني".

إلا أن إيران في تلك الفترة و حتى في فترة حكم رضا بهلوي والد محمد رضا بهلوي لم تكن تعتمد على الدين و لا حتى في الفترة اللاحقة لحكم رضا بهلوي و التي فترة حكم إبنه محمد رضا بهلوي ، هذا ما جعل من هذا علاقة رضا بهلوي مع الزعماء الدينين مضطربة . رغم ذلك فإن هذا الأخير وظف الدين في العديد من المحطات كما تدخل في الشأن الداخلي للعراق أنا ذاك من خلال محاولته تحريض الشيعة العراقيين ضد نظام الحكم ، بالإظافة إلى إشارته في كذا مرة إلى إلتزامه بتعاليم الإسلامية في بعض خطاباته. لكن هذا ليس بالغريب فتوظيف الدين من قبل العلمانين أمروارد في العلاقات الدولية حدث في باكستان مع ضياء الحق و معمر القذافي الذين دعما النظم الإسلامية . لقد وظف محمد رضا بهلوي الدين لتحقيق أغراضه و خاصة لكسب تأييد الدول الإسلامية و العربية لسياساته.

أما في فترة حكم آية الله الخميني مع مجيئه في سنة 1979، ليصبح اثر الدين في السياسة الخارجية أكثر وضوحا ، ليصبح للزعماء الدينين الباع الأكبر في السلطة ، و بدأت إيران وقتها بالعداء الصريح

للولايات المتحدة الأامريكية حتي أنه كان واضحا للعلن و في شاشات التلفزيون هذا الأمر من خلال الخطابات العدائية و التي إنتهت بإحتجاز الرهائن الامريكين سنة 1979 فى السفارة الأمريكية في طهران ، و لوحظ وقتها أعمال مشابهة من العنف في انحاء شتي من الدول الإسلامية ، كما إستغل الخميني المبادى الإسلامية في تثبيت حكمه مثل مبدأ عدم الخروج عن الحاكم في الشريعة الإسلامية و مفهوم الجهاد و الإستشهاد.....، حيث وظفت في رفع الروح المعنوية وكسب التأييد اللازم لسياسات الخميني.

المثال الثاني : حول السياسة الخارجية الصينية:

* علاقة الثقافة الإستراتيجية بالصعود السلمي للصين :

إن هذا المدخل المنتشر في البحث لا يفسر سلوك الصين الذي يظهر في بعض الأحيان علي أنه غير عقلاني ن مما يجعلنا نبحث عن إقتراب آخر يمكن ان يساعد علي فهم السلوك السياسي الصيني إتجاه المغرب العربي ، بمعنها سمات هاته السياسة و إختلافها عن باقي السياسات الأخري للقوي الغربية علي غرار الولايات المتحدة و الإتحاد الأوربي ....، و بالتالي يشكل إقتراب الثقافة الإستراتيجية إقترابا مهما لفهم السياسة الصينية. بحيث نشر جيش التحرير الشعبي الصيني كتابا يبين فيه الثقافة الإستراتيجية للشعب الصيني و تأثيرها علي تفضيلات صناع القرار، بإعتبارها متجدرة بشكل اللا وعي في الذاكرة الشعبية الصينية، و أكد على ذلك أيضا العديد من الكتاب الصينيين، ;ويقول أحد الزعماء الصينيين:" الثقافة هي جذر الإستراتيجية و ثقلها ، التفكير الإستراتيجي ،في تطوره التاريخي يصب في التيار الفكري الرئيس للبلد أو الثقافة الإستراتيجة للأمة و الثقافة الإستراتيجية لكل بلد أو أمة لابد أن تحمل بصمة التقاليد الثقافية، وهي تصف صنع القرار الإستراتيجي و تحدده، وذلك عبر وسائل لا واعية و معقدة ".

يري الصينيون أنهم شعب و ثقافة متميزة عن بقية الشعوب و الثقافات بإعتبارهم المملكة الوسطي والتى هي قلب العالم و البقية هم فقط تابع و بربر، و يؤمنون بأن لا ثقافة تساويهم أو تقف في مستواهم لذلك يرفظون اي ثقافة تنافسهم .كما أن الصينيين لا يتدخلون في الشؤون التي لا تعنيهم بالأحري هم يهتمون بالشأن الداخلي و بالوحدة الداخلية و تحقيق الإنسجام فهم يؤمنون بأن التماسك الداخلي أكبر شئ يحقق لهم الإستقرار و التفوق ، بالإضافة إلى أن الصين و الثقافة الصينية ترفض التدخل المباشر و تتجنب الحرب ففي نظرهم أن الحرب مغامرة و لا ينبغي علي القائد العسكري أن يثور أو يستنزف قواه بل ينبغي عليه أن يحقق النصر دون حرب ،فالصينيين يرون انهم أكثر الشعوب تميزا في فن الحرب و العلوم العسكرية .

تختلف الصين عن الكثير من دول العالم الثالث خاصة عندما يتعلق الأمر بمصلحة الوطن ، فطبيعة و شخصية القيادات التي تعاقبت على حكم الصين تميزت بكونها تفهم جيدا ما مدي أن يتم التداول على السلطة بطريقة سلمية ، فالقيادات الصينية لا تجد مشكلا في تداولها علي السلطة و الحكم ، و هذا ما أدي بطريقة آلية إلي تطوير الصين أساليب و آليات صنع القرار، ليصبح تقليدا في عملية صنع القرار الصيني ، و هناك شواهد علي هذا الكلام فعندما تقدم السن بـ" ماو تسي تونغ" لم يتردد في ترك زمام الأمور للقائد الصيني المتواضع و البالغ الكفاءة "شوان لاي"، كما لم يتردد في إعادة الإعتبار للقائد " دنج هيساوبنغ"، و هذا الأخير بدوره و عندما لم يعد بمقدوره المواصلة إكتفى بمنصب شرفي كرئيس للجنة العليا للرياضة، و هذا ما يثب الوعي الكبير و روح الوطنية التي يتحلي بها القائد الصيني .و نفس الشئ نلاحظه، في القائد "جيانغ زيمين" بحيث فضل الإحتفاظ برئاسة اللجنة العسكرية المركزية، و ترك القيادات الجديدة تضطلع بدور قيادة الصين و إدارتها في القرن الحادي و العشرين و هذا ما يثبت لنا مبدأ دوران النخبة و التداول السلمي علي السلطة فالمصلحة الأولي هي مصلحة الدولة و لا شئ آخر.

و إذا ما تتبعنا تاريخ القيادات الصينية و مسارها المهني سنجد أنها وصلت بطريقة تدريجية و عن طريق التدرج في المناصب و مثال ذلك القيادات الجديدة و نذكر هنا الرئيس الحالي " هو جنتاو" هذا الأخير شغل منصب نائب الرئيس لمدة خمس سنوات، و ذلك بعد مدة طويلة من العمل العسكري و الحزبي، و نفس الشيء بالنسبة لرئيس مجلس الدولة "ون جياباو"، الذي كان بدوره نائبا لرئيس الوزراء على طيلة خمس سنواتهنا يظهر ما مدي حكمة الصينيين ، و يظهر لنا أن هناك منطق قوي في الحكم و التسيير فلا يوجد في الصين خوف من أزمة قيادات ، فدائما هناك قائد جاهز و بنفس كفاءة سابقين إن لم يكن أكثر.

لقد عرفت مؤسسات صنع القرار في الصين تطورا مهما ، مع تعاقب القيادات و تزايد و توسع أهداف الصين الخارجية و إذا ما أخذنا الفترة التي جاء فيها " ماوتسي تونغ" نلاحظ أن معظم قرارات السياسة الخارجية كان يتم إتخاذها بطريقة "عائلة كورليون "في قصة "God Father"، فكان ماو بمثابة "الأب الإله"، ثم جاء بعد ذلك حكم "دينج" لتنفتح بذلك سياسة الصين علي الخارج حيث توطدت روابط الصين بالمجتمع الدولي، ولكن رغم كل هذا التطور بقي القرار الصيني يتصف بكونه مركزي . لكن و خلال الفترة الاخيرة خاصة الفترة الممتدة بين 2000-و 2010 نلاحظ أن عملية إتخاذ القرار في السياسة الخارجية أصبحت تتميز بالمؤسسية واللامركزية. و مثال ذلك فتح المجال أكثر للدور الذي تلعبه هيئات الإدارة الحكومية المتناظرة والمختصة بقضايا السياسة الرئيسية، والمعروفة بإسم "المجموعات القيادية الصغيرة"، كما قامت بكين فى أواخر عام 2000 بتأسيس مجموعة قيادية جديدة للأمن القومي، و هاته الأخيرة تعبير واضح عن طبيعة النظام السياسي الصيني.

من جهة أخري و من الناحية الإستشارية عملت الصين على تنويع مصادر التحليلات السياسية التي تعتمد عليها سواءا من قبل خبراء الحكومة أو من مشتشارين من خارجها. و كمثال علي ذلك قامت الصين بتأسيس جهاز جديد للتخطيط السياسة في وزارة الخارجية و هذا الأخير يظطلع بمهام وأدوار

بارزة كأحد مصادر الفكر السياسي داخل الصين، ومن ناحية أخرى فقد بدأت الحكومة فى تعيين متخصصين من خارج الحكومة للاستعانة بهم كمستشارين للقضايا الفنية مثل تلك التي تتعلق بعدم إنتشار الأسلحة المحظورة و قضايا الأمن القومي . بالإضافة إلي ذلك هناك مجموعات تسمي مجموعات الدراسة الداخلية وكتابة التقريرات،و تضم العديد من الخبراء و المحللين السياسيين من خارج الحكومة ، حيث يقوم هؤلاء الدارسون والمحللون السياسيون بكثير من الدراسات والزيارات للخارج للالتقاء بنظائرهم من الخبراء الدوليين بالإضافة إلى أنهم يلفتون أنظار الزعماء الصينيين.

لقد وعت الصين و أدركت أهمية تطوير عملية صنع القرار فى السياسة الخارجية وهذا ما دفعها إلى فتح باب النقاش العام . فلم يكن هناك أية مناقشات مفتوحة تتناول المشكلات الحساسة في الصين ، ولكن فى الوقت الراهن أصبحت هناك حرية في التعبيير وتناول مسائل حساسة تتعلق بمستقبل البلاد و سياسة الحزب الحاكم ، و قضايا تمس الأمن القومي .

إن النجاح الذي حققته الدبلوماسية الصينية في الخارج ، ليس صدفة و إنما جاء نتيجة لجهد معتبر قامت به القيادة الصينية . بحيث قامت وزارة الخارجية منذ ما يزيد عن خمسة عشرة سنة بتكوين و تدريب الدبلوماسيين الصينيين و كان ذلك مع فترة الإصلاح حيث قضى الدبلوماسيون الصينيون وقتاً طويلاً فى دراسة العالم الخارجي ما بين المتحدثين لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية وبين الحاصلين على درجات وشهادات علمية من جامعات خارج الوطن الصيني. و لقد استخدمت الدعية و تم ترويج الفكرة للرأي العام المحلي و العالمي ففي العقود الماضية كانت المناظرات والتلخيصات يتم إحالتها إلى الصحف اليومية والتقارير الإخبارية والمطبوعات التي تصدرها وزارة الخارجية، ثم تغير الوضع مؤخراً حيث أدركت الصين أهمية طرح وجهة نظرها للعالم الخارجي، من أجل تحسين صورتها بين الدول. وطبقاً لذلك فقد بدأت الصين فى منتصف التسعينيات فى إصدار ما يعرف ب "الأوراق البيضاء الحكومية "و هي تعنا بقضايا السياسة الخارجية.

* مصادر الثقافة الإستراتيجية الصينية :

لهذه الثقافة الإستراتيجية الصينية مصادر تتمثل بالأساس في كل من الفلسفة الكونفوشية و الفلسفة الداوية ، بالإضافة إلى الجغرافيا و التركيبة المجتمعية .و التي تشكل كلها مجتمعة الخزان الذي تستقي منه الصين تفضيلاتها في السياسة الخارجية إتجاه المغرب العربي ، و طبعا ليس معني هذا الكلام أن الثقافة الإستراتيجية هي التي تحدد طبيعة السياسة الخارجية الصينية بل معناه أنها تأثر و تساعد صانع القرار في تفضيلاته و هو بصدد رسم سياسته الخارجية.

إن فهم و تفسير السياسة الخارجية الصينية، لا يقتصر على فهم و تحليل النظرية الماركسية اللينينية فحسب، بل يتعداها إلى ما هو أعمق من ذلك فالماركسية اللينينية رغم ما لها من تأثير في سياسة الصين الخارجية إلا أن هذا التأثير ضئيل، فالاتحاد السوفياتي كان أكثر تأثرا بها من الصين، إضافة إلى النسق العقدي هناك عامل آخر ذو تأثير لا يقل أهمية عن العوامل الأخري ، و المتمثل فى التاريخ هذا الأخير الذي له بصمة واضحة في السياسة الخارجية الصينية .

لقد تحولت الصين إلى دولة شيوعية سنة 1949م ، ويرجع ذلك حسب أغلبية الباحثيين و المهتميين بالشأن الصيني ليس كما يتصور البعض إلى المبادئ الماركسية اللينينية بل السبب الأكثر تأثيرا كان الإصلاحات الزراعية و الوعد بها، بالإضافة إلى فساد النظام الذي كان قائما و المتمثل في نظام "تشاينج كاي شيك،" وهذا ما أدى إلى هذا التغيير و ليس كما هو شائع من أن العامل الأيديولوجي هو السبب، فالسبب فى إلتفاف الشعب حول "ماوتسي تونغ " أنه كان قوميا ، لا المبادئ الشيوعية، كما أن "ماوتسي تونغ" كان مهتما بأمور التمية و بالجانب الإقتصادي أكثر من الثورة الشيوعية و نشر مبادئها في العالم. ولقد حاول "ماوتسى تونغ" مرات عدة أن يكون خليفة لسطالين بعد موته سنة 1953، وذلك باعتباره منظر ومفسر للمذهب الماركسي اللينيني إلا انه لم ينجح في ذلك ، وهذا راجع لجملة من الأسباب منها مساهمته المحدودة في التنظير، وهذا ما دفع "وينسون "بالقول أن" ماوتسي تونغ" لا يرقى إلى المنظر فهو

من المحتمل ألا يكون قرأ كتب ماركس و انجلز. و بتالي هو ليس في المرتبة التى تأهله إلى أن يحتل تلك المكانة . و بالنسبة "لماوتسي تونغ" فإن الماركسية ما هي إلا أداة وسيلة لتحقيق أهداف معينة، وبالتالي فيمكن لأي إيديولوجية أخرى أن تحل محل هذا الفكر في تحقيق في تحقيق تلك الأهداف، فقرارات السياسة الخارجية في أغلبها لا تبني على أساس أيديولوجي كما يجمع بذلك غالبية الدارسين و الباحثين في الشؤون الصينية .

عمليا بدأ الحديث و الإهتمام بفكر" ماوتسي تونغ "في السيتينيات من القرن الماضي ليقل بذلك الإهتمام بالماركسية. ليصبح فكر "ماوتس تونغ" أساس السياسة الخارجية الصينية بدلا من الفكر الماركسي وبالنسبة للكنفيشيوسية التقليدية هي الأخرى لا تخرج عن هذا الإطار إذ لم تكن أكثر تأثيرا في السياسة الخارجية الصينية من الماركسية اللينيية، وتعتبر السلطة الركيزة الأساسية في الفكر "الكنفيشيوسي" نسبة إلى " كنفشيوس".

تعتبر الثقافة الصينية إمتدادا للثقافة الآسيوية، التي تشكل منظومة قيمية متميزة أساساها الفلسفات الشرقية، فالإنسان الصيني يؤمن بجملة من القيم والتى من بينها إعتبار الأسرة لدى الصيني والآسيوي بصفة عامة الركيزة الأساسية، فحتى أن الطلاق في الصين والمجتمع الآسيوي يقل كثيرا عن مثيلاتها في الغرب، وكمثال فإن الآسيوي يعتز ويفتخر كثيرا بكبار السن ويقدرونهم. كذلك يعتبر الإنسان الآسيوي، إنسانا اجتماعيا فهناك توازن كبير بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، و يفضل الآسيويون الإدخار، فلهم ثقافة إدخارية واسعة على نقيض الإنسان الغربي الذي يتمتع بثقافة استهلاكية واسعة، كما يؤمن الآسيويون بالجماعة ويفضلون العمل الجماعي على العمل الفردي .

تعتبر الثقافة الصينية ثقافة متميزة و فريدة من نوعها، التي ترتكز على التقاليد والفكر "الكونفوشيوسي"، وعلى العكس ما يضن البعض فإن "الكونفوشيوسية "ليست دين بالمعنى المتداول، وإنما هي عبارة عن نظام أخلاقي. فالصين و في ممارساتها الخارجية ترجع دوما إلى إرثها الحضاري و

التاريخي و تستلهم منه القواعد و العبر، فهناك ارتباط وثيق بين المجتمع الصيني و الثقافة و الفلسفة "الكونفيشيوسية "و التي تنادي بضرورة الأخلاق في العمل السياسي، وتركز على السلم و الأمن و هذا ما يفسر النزعة السلمية للسياسة الخارجية الصينية. فالسياسة الخارجية الصينية ليست نتاج العامل العقائدي و الأيديولوجي فحسب بل إن العامل التاريخي له أثره أيضا، لكن هذا لا يعني أن النسق العقدي غير مهم في السياسة الخارجية الصينية بل له أهمية هو الآخر.

تعتبر التقاليد والثقافة الصينية محدد أساسي له دور كبير في توجيه السياسة الخارجية الصينية. و كمثال فإن المملكة الوسطى الكبرى التي حكمت قارة آسيا طيلة قرون تعتبر إلاهاما للصينيين الذين يطمحون إلى إسترجاع أمجاد أجدادهم ،فهم يعتبرون أن حضارتهم هي قائدة العالم و مركزه. و أنهم أعرق حضارة في التاريخ و التي كان إسهامها كبيرا في الحضارات المختلفة في العالم، من اختراعات و أفكار نيرة، ولعل هذه النظرة واضحة في ذهنية الشعب الصيني. وهذا ما يفسر سعي الصين لبلوغ أعلى الدرجات في سلم المكانة العالمي. فهاته الأخيرة تعتقد أن لها إمكانات مادية و معنوية تؤهلها لإفتكاك الوضع المهيمن و قيادي في العالم. إن الإنسان الصيني له إيمان راسخ بإن حضارتهم وتاريخهم، متميز عن باقي الحضارات، والصيني يعتز كثيرا بحضارته وتاريخه، ولهم نظرة استعلائية ، متأتية من التسمية التاريخية لبلدهم، حيث كان يطلق على الصين اسم "سو نغو"، ومعناها البلد الأوسط أي توسط الصين للكرة الأرضية، بحيث يعتبرون أنفسهم أرقى الحضارات. إن الصيرورة التاريخية الصينية تلتقي وتتشابه إلى حد كبير مع التصور الإسلامي، ففي فكرة القوة فإنها تعني للصينيين معنى آخر يختلف عن الغرب.

الإحصائيات تشير إلى أن الصين هذا البلد المكتظ، يقطنه مليار و ثلاث مائة مليون نسمة، مقسمة على ست و خمسين قومية، يجمعها قدر كبير من التناسق و الإنصهار، إلا أنها تختلف من حيث الثقافة و العقائد و القيم و حتي التاريخ. فالعامل البشري يعتبر من بين عوامل قوة الدولة و التي لها أثر كبير في

تحديد و توجيه السياسة الخارجية للدول، و إلى وقت ليس ببعيد كانت قوة الدولة تقاس بعدد سكانها. و الدولة التي تعداد سكانها قليل تجد صعوبة في الوصول إلى مكانة دولية مرموقة و مؤثرة في السياسة الداخلية للدولة. ورغم دخول عامل التكنولوجيا كمحدد لقوة الدولة، إلا أن الحروب التقليدية و التي تعتمد على العدد البشري لا زالت تلعب دورا مهما في وقتنا الحالي، والتي يلعب فيها تعداد الجيش دورا حاسما في تحديد نتائج الحرب.

و من بين عوامل القوة الصينية فيما يتعلق بالجانب البشري هو توحد قومياتها و تجانسها، فرغم أنها تضم أكثر من 500 قومية إلا أن الصين تشهد إستقرار إفتقدته العديد من الدول التي بها قوميات مختلفة كما هو الحال في إفريقيا،وهذا ما يجعل منه عامل قوة في سياستها الخارجية، فهذا الأخيرله أثر بالغ في مضي الصين نحو هدفها الذي رسمته لسياستها الخارجية. وغالبية الصينيين ينحدرون من سلالة عرقية واحدة، و يشتركون في ديانة واحدة و هي الديانة البوذية الديانة الرسمية في الصين. هذا الانسجام بين القوميات والأقليات المختلفة مكن الصين من تبني سياسة خارجية ثابتة و مستقلة ورغم وجود بعض المشاكل مثل قضية التبت إلا أنها لا تؤثر في الخط العام لسياستها الخارجية، بل تكاد لا تظهر. و تعتبر قومية "الهان" TheHan"، أكبر القوميات الصينية بنسبة 91.6% من مجموع السكان، وهم الكتلة المسيطرة من الشعب الصيني. وتشكل قومية "لوبا" القومية الأقل تعداد وعدد 2965 نسمة. و من الأقليات المشكلة للتركيبة البشرية والثقافة الصينية نذكر: "الهوى" HUI، وينحدر أفرادها من المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام في القرن السابع ميلادي، ويتركزون في منطقة تسينغهاي Tsinghai، بالإضافة إلى أقلية "المانشوس" Machus، ويرجع أصلهم إلى المحاربين الذين غزوا البلاد في القرن السابع عشر ميلادي وهو الذين أسسوا حكم سلالة "تشينغ" CHING، بالإضافة إلى "التبتيون" و "الويغور" المسلمين. رغم ذلك قد يكون التعداد الهائل للسكان عاملا من عوامل تخلف الدول، وبالتالي يكون مصدر ضعف لها في السياسة الخارجية،و الذي يأدي بدوره إلى الحرمان الاقتصادي و الاجتماعي التي من نتائجه الصراعات الدولية.

المثال الثالث : السياسة الخارجية الروسية :

بتتبع السياسة الخارجية الروسية يمكننا أن نلاحظ أن روسيا تعاني من أزمة هوية، وهذا ما دفع صناع القرار البحث عن حلول ودور جديد لها حيث نلاحظ وجود إتجاهان بالنسبة للثقافة الإستراتيجية الروسية الإتجاه الأول: يؤمن بالتاريخ و الوضع الإمبراطوري بحكم الماضي التاريخي والثقل الحضاري حيث وصفت روسيا خلال قرون على أنها إمبراطورية كبرى.

الإتجاه الثاني :فهو يرى وجوب التخلي عن الحكم الإمبراطوري والاهتمام بالوضع الداخلي لبناء الدولة الروسية القوية ذات الأهداف والمصالح الواضحة والمحددة ، و تبني سياسة خارجية أكثر تأقلما مع الوضع العالمي.

لابد ان نعرف أن روسيا بها العديد من القوميات بإجمالي عدد السكان يزيد عن 145 مليون نسمة، ينتمون إلى 130 جماعة عرقية، كما أنها متعددة الديانات حوالي 39 عقيدة دينية. هذا كله ينعكس على السياسة الروسية على المستوي الخارجي.كما أن الأوضاع الاقتصادية فى روسيا بالرغم من ما تحتوى عليه من إمكانية فعلية وموارد بشرية ،وعلمية وطبيعية إلا أنها تعاني بشكل كبير فقد سجل الاقتصاد الروسي انهياروتراجع كبير جعلها تتخبط في الفساد و تتلاشي شيء فشئ هذا الامر اثر بشكل كبير على عملية صنع السياسة الخارجية.

بالنسبة لروسيا و من الناحية الحضارية جاءت في الوسط لا هي غربية و لا هي شرقية و هذا اثر في عملية صنع القرار الخارجي إذ هي دولة أوراسية و هذا أيضا من بين مميزات روسيا .

إن السياسة الخارجية الروسية تؤثر في عملية صنعها مجموعة من العوامل و الأنساق الاجتماعية والثقافية والتنظيمات السياسية والجماعة الضاغطة ووسائل الاتصال والأوضاع الاقتصادية، وطبيعة النظام السياسي..... وتعتبر من أهم القوى الفاعلة في السياسة الخارجية الروسية إلى جانب موقعها الإستراتيجي الذي كان محا أطماع و تدخل القوي الخارجية عبر التاريخ.

من بين العوامل التي تأثر بشكل كبير في عملية صنع القرار هي النخب السياسية بحيث تعتبر هاته الأخيرة ذات نفوذ وتعتبر العلبة السوداء التي تقوم بالتعيينات وتوزيع المناصب العليا ، وتشكيل البيروقراطية الروسية وهى تنقسم إلى الإصلاحيون الراديكاليون و القوميون و المحافظون (الشيوعيين اليساريين)و الإتجاه الوسطي ،دون أن ننسي الدور الذي تمارسه جماعات الضغط ولوبيات المصالح في اتخاذ قرارات السياسة الخارجية خاصة ملياردیرات النفط والإعلام في فترة "يلتسن "وكذلك اللوبي اليهودي الذي كانت بصماته واضحة في سياسة "يلتسن "الخارجية ، وكل هذه العوامل تلقي بتأثيراتها علي عملية صنع القرار الخارجي الروسي.

وبالنسبة للعامل الخارجي فإن روسيا الجديدة القائمة على أنقاذ الإتحاد السوفياتي وبالنظر فقد شكلت البيئة الخارجية قيودا حقيقية على سياستها الخارجية خاصة في مرحلة إعادة

البناء ،بالنظر للتحديات التي واجهتها وكذا الضغوط الخارجية مثل الضغوط الأمريكية الشديدة التأثير عليها، بسبب موقع روسيا في الاستراتيجيات الخارجية للدول الغربية والولايات المتحدة وهنا نعطي مثالين الأول إدارة فريق أمريكي للحملة الانتخابية الثانية "لبوريس يلتسن" وهذا يعني التدخل في جوهر الشؤون الداخلية لروسيا وإعتداء واضح على السيادة، والمثال الثاني هو إبرامها لصفقة نووية مع إيران وضغط الو.م.أ على إيران من أجل إلغاء بند أجهزة الطرد المركزي من الصفقة ، هذين مثالين من عدة أمثلة توضح حجم تاثير العامل الخارجي في السياسة الخارجية الروسية.

تعتبر فترة التي جاء فيها "بوتين" لسدة الحكم فترة مختلفة عن سابقتها بحيث إستطاع بوتين الإندماج في لعبة توازن القوي وجعل روسيا ومنها السياسة الخارجية أكثر خدمة للأهداف الكبرى لروسيا بحيث عرفت نوعا ما إستقلالية القرار الخارجي مقارنة بالفترة التي سبقت مجيئة ويعزي ذلك أيضا لشخصية بوتين وعلى العامل السيكلوجي.

رغم التغيير الذيجاء به الرئيس "بوتين " في السياسة الخارجية وغعطائها إستقلالية أكثر خدمة للأهداف الكبرى للسياسة الخارجية إلا أن هذا لا يعني أن الثقافة الإستراتيجية بمكوناتها خاصة التاريخ والإرث الإبراطوري لروسيا لم يكن له تأثير بل يستمر هذا التأثير لكن بتغليب المصالح القومية على الحفاظ على هذا الإرث.